# المورد

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة

ـ بغداد ـ جمهورية العراق

المجلد الثالث والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥ م



رئيس التحرير عبد الحميد العلوجي

سكرتير التحرير صادق هامل ديكان

عرض ونقد

# مقابسات في الفلسفة الصوفية

## ملاحظات حول ترجمة آربري لنصوص النفري

بقلم الباحث عزيز عارف

بغداد ـ المنصور ـ حي المهندسين

### (١)
### في المطلق والنسبي
### نص النفري [٥٨]

« ليحذر مَنْ عرف أسمائي من خَبَل عقله ، ثم ليحذر مَنْ عرف أسمائي من خَبل قلبه » ـ

**ترجمة آربري** [٥٩]

«Let him that knows my names beware of the paralysis of his intellect : and aqain , let him that knows my names beware of the paralysis of his INTELLECT .»

**استدراك وتعليق :**

في نص النفري تحذير من خَبلين : خبل العقل وخبل القلب . أما ترجمة الاستاذ آربري فتكرر التحذير من خبل العقل مرتين وتتجاهل خبل القلب . ومن هنا جاءت الترجمة مختلةً ، بعيدةً عن مفهوم النص على النحو التالي :

« ليحذر مَنْ عرفِ اسمائي من خبل عقله ، ثم ليحذر مَنْ عرف أسمائي من خبل عقله »

ما معنى نص النفري ؟

الذي نراه أن هذا النص يدور حول ( الوجود المطلق ) و( الاسماء الالهية بمعناها النسبي ) . ويريد النفري بخبل العقل هنا ضلال الفكر . ويريد بخبل القلب فساد العقيدة .

ويشير نص النفري ـ كما نرى ـ الى الاية الكريمة : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . [٦٠] فمن الناس مَنْ يعرف الحق وجوداً مطلقاً ( ليس كمثله شيء ) فاذا عرف اسماءه ( وهي نسب ) أخذته الهواجس والظنون فضَلَّ عن الطريق . وهذا هو خبل العقل .

ومن الناس مَنْ عرف أسماء الحق فاطمأنت نفسه اليها وتمسك بها ، فاذا واجهه المطلق ( ليس كمثله شيء ) اهتزت نفسه واضطرب قلبه وأخذته الحيرة من كل جانب ( وهذا هو خبل القلب ) .

من هنا جاء تحذير النفري من خبلين : خَبَل العقل ، وخَبل القلب .

ويفرّق ابن عربي بين القلب والعقل فيقول في ( كتاب نقش الفصوص ) :

« القلب يتقلب في الخواطر ولذلك قال : ( إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) ولم يقل : عقل ، لأن العقل يتقيد بخلاف القلب » [٦١]

كيف الخروج اذن من هذا التيه ؟

كيف يمكن لنا أن ندرأ عن أنفسنا خبل العقل وخبل القلب ؟

ليس أمامنا في الحقيقة الّا الجمع بين النقيضين :

المطلق ( ليس كمثله شيء ) والنسبي ( وهو السميع البصير ) . وليس لنا الّا الإذعان والتسليم .

يقول ابن عربي :

« . . لا تحجبنّك الحيرة عن الحيرة ، وقل ما قال ، فنفى وأثبت : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » [٦٢]

### (٢)
### الزهد في الزهد

**نص النفري** [٦٣]

« تواضع لي تزهَدْ فيما زهدتَ فيه »

**ترجمة آربري** [٦٤]

«Be humble before Me, and thou shalt be abstinent in that in which I am abstinent .»

* تتمة القسم الخامس المنشور في العدد الاول لعام ١٩٩٤ م

استدراك وتعليق

يبدو لنا أن الاستاذ آربري قد وهم في قراءة هذا النص فجاءت ترجمته مختلةً على النحو التالي :

« تواضع لي تزهد فيما زهدتُ ( أنا ) فيه » .

والذي نراه أن نص النفري إنما يُقرأ على هذ الوجه : « تواضع لي تزهد فيما زهدتُ ( أنت ) فيه » ويريد النفري أن يقول إن مَنْ تواضع لله فليس بحاجة الى أن ينحو منحى الزاهدين ، لان التواضع لله هو الزهد عينه .

أما ترجمة آربري فبعيدة عن هذا المعنى ؛ إذ كيف يزهد الحق في شيء ، وهو سبحانه خالق كل شيء ، ومدبر كل شيء ، وفي كل شيء له آيةً ، وعليه في كل شيء دلالةً ؟ !

يقول ( محيي الدين بن عربي ) في كتابه ( الفتوحات المكية ) :

« لو رأيت الحق لم تزهد ، فان الله مازهد في الخلق ، وما ثَمَّ تخلّقَ الّا بالله ، فبمن تتخلق في الزهد ؟

فالزهد ليس له في العلم مرتبةٌ

وتركه عند أهل الجمع مفروضٌ » (٦٥)

وحول هذا الرأي في الزهد تعلّق الدكتورة سعاد الحكيم في كتابها القيّم ( المعجم الصوفي ) قائلةً :

« وينفرد ابن عربي عن التصوف السابق في النظر الى الزهد وتعظيمه بجعله من بدايات الطريق ، يتركه الاكابر ، لانهم يتخلقون بالله في سلوكهم ، والزهد ليس له مستند في الالوهية »[٦٦]

(٣)

الإرتباط الإضافي

نص النفري [٦٧]

« وقال لي : إن لم أنتصر بك لم تُثبتْ ؛ وإنْ لم تثبتْ لم أتعرفْ إليك »

ترجمة آربري [٦٨]

«If I do not help thee, thou wilt not be STABLISHED:and if thou art NOT STABLISHED, I shall not make Myself known unto thee »

استدراك وتعليق

١ ـ نلاحظ أن عبارة النفري « إن لم انتصر بك » قد انقلب مفهومها في ترجمة آربري الى « إن لم أنصرك »

« If I do not HELP thee »

والترجمة ـ كما ترى ـ على خلاف معنى النص ، وهي بعيدة كل البعد عن مفهومه .

٢ ـ ويدور نص النفري حول فكرة صوفية جد عميقة كثيراً ما رددها الصوفية ، وكثيراً ما وردت في مواقف النفري ومخاطباته ، تلك هي فكرة الإرتباط الإضافي بين الحق والخلق .

ويراد بالحق هنا ( الاسم الإلهي ) وليس ( الذات ) أو ( الوجود المطلق ) .

الإسم الإلهي إذن هو الذي يقبل النسب والإضافات ، أما الذات الإلهية فهي ـ كما يقول ابن عربي ـ « منزهةٌ عن أن يكونَ لها بعالم الكون والخلق والأمر مناسبة أو تعلق بنوع ما من الانواع »[٦٩]

٣ ـ ما معنى نص النفري ؟

أ ـ عبارة النفري ( ان لم انتصر بك ) معناها : إن الاسم ( المعبود ) مثلاً يتوقف وجوده في الحقيقة على ( العابد ) ، فلولا وجود العابد لما تحقق وجود اسم ( المعبود ) . وهذا معنى ( انتصر بك ) . وكذلك الامر في جميع الاسماء الإلهية .

وفي هذا المعنى يقول ( ابن عربي ) على لسان الحق سبحانه :

« . . . عبدي . . . لولاك ما عُبدتُ ولا وُحدتُ ولا عُلمتُ . . . » [٧٠]

ب ـ ومعنى ( تثبت ) في العبارة ( ان لم انتصر بك لم تثبت ) أن ( العابد ) إنما يتحقق وجوده بوجود المعبود ، فلولا المعبود في الحقيقة لم يثبت وجود العابد . وهكذا الامر في جميع الأسماء الالهية .

ج ـ وعبارة النفري « إن لم تثبت لم أتعرف اليك » معناها : إن لم تكن عابداً لي ، فلستُ معبوداً لك وحينئذٍ فلا صلة لي ولا شأن بيني وبينك .

٤ ـ في معنى نص النفري الانف الذكر يقول الشيخ ( محيي الدين بن عربي ) في كتابه ـ الفتوحات المكية ـ : « . . . . فكل ماثبت لله تعالى من الأحكام ما ثبت الّا بالعالم . . . فلو إرتفع العالم من الذهن إرتفعت الاحكام الإلهية كلها وبقي العين بلا حكم ، فوجود أعياننا من وجوده ، ووجوده أثبتَ العلم به في ذواتنا . . . »[٧١]

(٤)

كلاهما

نص النفري [٧٢]

« يا عبد ! كلاهما لك عِبْرَةٌ . إضعافي إياك عن الضعيف ، وتقويتي إياك على القوي »

ترجمة آربري [٧٣]

« Each of them is a proof to thee of my making thee weaker THAN the weak, and stronger THAN the strong »

استدراك وتعليق

١ ـ من الواضح أن لفظة ( كلاهما ) في نص النفري إنما تشير الى أمرين مذكورين في النص ، هما : « إضعافي اياك عن الضعيف ) و ( تقويتي اياك على القوي ) .

أما ترجمة الاستاذ آربري فقد خلت من هذا المفهوم فجاءت مضطربةً ، مختلةً ، على النحو التالي :

كلاهما لك عبرة في إضعافي اياك عن الضعيف ، وتقويتي اياك على القوي »

٢ ـ ونتساءل : أين إذن مفهوم ( كلاهما ) في ترجمة آربري ؟

يجيب عن تساؤلنا ـ عند تعليقه على النص ـ قائلاً : [٧٤] « The sense runs on from the previous address »

أي أن معنى هذا النص متعلق بالمخاطبة السابقة .

٣ ـ يربط آربري إذن بين معنى هذا النص ( وهو أول فقرات المخاطبة رقم ٢٨ ) وبين ( آخر فقرات المخاطبة رقم ٢٧ ) ونصها كما يلي :
« يا عبد ! غيبتي تُريك كلَّ شيء ، ورؤيتي لا يبقى معها شيء » . ولماذا هذا الربط ؟

لانه كما يبدو قد وهم أن لفظة ( كلاهما ) في نص النفري اللاحق ( اول المخاطبة ٢٨ ) انما تشير الى ( غيبتي ) و ( رؤيتي ) الواردتين في النص السابق ( آخر المخاطبة ٢٧ ) . واذا أنعمنا النظر في هذين النصين لم نر أيةَ صلةٍ بينهما ، فكلٌ منهما قائمٌ بذاته ، مستقلٌ بمعناه .

٤ ـ ما معنى إشارة النفري : كلاهما لك عبرة : إضعافي اياك عن الضعيف وتقويتي اياك على القوي؟الذي نراه أن النفري أراد أن يقول على لسان الحق سبحانه : أنتَ مني ـ ياعبد ـ في موضع الإنصاف والنصرة فاعتبر بنصرتي لك حين تهم بظلم أحد فاكف يدك عنه وأتقيك شر نفسك ، فانت حينئذٍ أضعف من أي ضعيف .

واعتبر كذلك بنصرتي لك حين يهم أحد بظلمك والإعتداء عليك ، فاتقيك شره وأدفع عنك أذاه ، فانت حينئذٍ أقوى من أي قوي .

أما ترجمة آربري فلا تدلنا على مثل هذا المعنى .

## (٥)
## العبادة الوجهية

نص النفري [٧٥]

« أهل العبادة الوجهية ، وجوهُ الناسِ ، تُرفع اليهم الوجوه يوم القيامة »

ترجمة آربري [٧٦]

' The PEOPLE of the facial worship, to them men,s faces will be raised on the day of RESURRECTION »

استدراك وتعليق

١ ـ يراد بعبارة ( وجوه الناس ) سادتهم وأشرافهم ، وهي هنا في نص النفري وَصْفٌ لاهل العبادة الوجهية [ أهل العبادة الوجهية هم وجوه الناس ] .

أما ترجمة آربري فقد أسقطت هذا الوصف فجاءت مختلةً على النحو التالي : « أهل العبادة الوجهية ترفع اليهم وجوه الناس يوم القيامة » .

١ ـ وفي نص النفري تتكرر ( الوجوه ) مرتين : « وجوه الناس » بمعنى أشراف القوم النظور [ المنظور اليهم ] . و « الوجوه بمعنى وجوه الناس الناظرة .

أما في ترجمة آربري فقد جاءت مرةً واحدةً بمعنى . وجوه الناس الناظرة .

٣ ـ ما معنى نص النفري ؟

يشير النفري ـ كما نرى ـ الى الآية الكريمة : « فاينما تُوَلّوا فَثَمّ وجهُ الله » [٧٧]

فالحق سبحانه موجود في كل مكان ؛ وكل حيّز في الكون مكان ، ومَنْ تَوجّه للحق في كل مكان ، ومَنْ قصده في كل شيء ، ورأى وجه الحق في كل شيء ، فذلكم من أهل العبادة الوجهية الذين قال تعالى فيهم : « يريدون وجه الله »[٧٨] . اولئك هم أعزاء الحق وأحبابه والمقربون اليه ، تتطلع اليهم الوجوه ، وتشرئب الأعناق ويستشفعهم الناس يوم القيامة .

## (٦)
## (الاجل) لا (الاجر)

نص النفري [٧٩]

«ياعبد ! لا يرتفع الضد أو يرتفع الاجل ، ولا يرتفع الاجل أو ترتفع الغيبة» .

ترجمة آربري [٨٠]

«opposite is not Removed, until Reward is Removed : Reward is not Removed, until ebsence is Removed» —

استدراك وتعليق

في نص النفري تتكرر كلمة (الاجل) مرتين ، وفي المرتين ترد في ترجمة آربري بمعنى (الاجر ـ Reward) ، ومن هنا فقد أخلّت الترجمة بمعنى النص .

ما معنى نص النفري ؟

١ ـ يشير النفري بكلمة (الضد) الى تقابل الاضداد في الكون ، «فما في الوجود شيء الّا وفيه ما يقابله»[٨١] كما يقول ابن عربي .

فاذا إنتهى أجل الإنسان ، ولكل أجلٍ كتاب ، وانتقل من مجال الوجود المحدود (الدنيا) الى رحاب الوجود المطلق (الاخرة) ، إرتفعت حينئذٍ هذه الاضداد وتلاشت عنه ولم يعد لها وجود .

وهذا معنى عبارة النفري «لا يرتفع الضد أو يرتفع الاجل» .

٢ ـ ويريد النفري بكلمة (الغيبة) أن الخَلْق في هذه الدنيا محجوبون عن رؤية الحق ، فهو ـ سبحانه ـ في غيبة عنهم ، ولا يمكن لاحد منهم أن يراه .

يقول النفري في إحدى مخاطباته على لسان الحق سبحانه : «كل مَنْ في الغطاء أعمى عني»[٨٢] .

والحق أن الغيبة (غطاء) ، فلا يتهيأ لاحد من الخَلق رؤية الحق الا اذا كُشف عنه غطاء الغيبة .

قال تعالى : «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد»[٨٣] .

٣ ـ وإرتفاع الغيبة (اي رؤية الحق) وانقضاء الاجل ، أمران متلازمان ، يتوافقان في الزمان .

فاذا انتهى أجل الإنسان ، وفارق عالَم الدنيا الى عالَم الاخرة ، تلاشت عنه حينئذٍ هذه الغيبة ، وتيسّرت له رؤية الحق .

وفي هذا المعنى يقول ابن عربي في (كتاب الشاهد) : «ترى الحق بالبصيرة في الدنيا ، وبالبصر في الأخرى ...»[٨٤]

٤ ـ ونلاحظ على عبارة النفري : «لا يرتفع الاجل أو ترتفع الغيبة» ـ أن رؤية الحق هنا يستتبعها إنقضاء الاجل . ويتكرر عند النفري هذا المعنى .

قال في (كتاب المواقف) :

«أي عيشٍ لك في الدنيا بعد ظهوري ؟»[٨٥]

وقال في (كتاب المخاطبات) :

«قَطَعَ ما بينك وبين الاشياء رؤيتي ....»[٨٦]

وقال $ : «... ورؤيتي لا يبقى معها شيء»[٨٧] .

وقال : إذا أسفرتُ لك ، انقطع السبب . واذا رأيتني إنقطع النسب»[٨٨] ـ أي أنت حينئذٍ في رحاب الوجود المطلق ، فلا ثمة تعلق ولا سبب ولا نسب !

## (٧)

### ـ العطاء بالمنع ـ

نص النفري [٨٩]

«يا عبد ! كيف لا تطلب مني وقد أحوجتك ؟
أم كيف تطلب مني وقد بدأتك ؟» .

ترجمة آربري [٩٠]

«How shalt thou not seek of Me, seeing that I have put thee in need ?
Or how shalt thou seek of Me, seeing that I have originated thee ?.».

استدراك وتعليق

يدور نص النفري ـ كما نرى ـ حول فكرة صوفية جد عميقة هي (العطاء بالمنع) . أما الاستاذ آربري فقد ذهب بترجمته الى معنى بعيد لا يحتمله هذا النص ، والامر يحتاج الى شيء من الشرح .

أراد النفري أن يقول إن الانسان مفتقر دائماً الى الله سبحانه ، محتاج اليه ابداً ، فمن البداهة إذن ومن حقه أن يطلب من الله أن يدفع عنه عوزه ويقضي له حاجاته .

ولكن النفري يعود مستدركاً :

إياك ايها الإنسان أن تطلب من الله شيئاً فقد أعطاك إياه قبل أن تطلبه منه ! لقد بدأك بالعطاء قبل السؤال (وهذا معنى عبارة النفري ـ وقد بدأتك ـ) .

عبارة النفري (وقد بدأتك) معناها انن «وقد بدأتك بالعطاء قبل أن تطلب مني» أما ترجمة آربري لهذه العبارة فتقول :

«I have originated thee»

وهي تعني «وقد أنشأتك ، أو أصلتك ، أو خلقتك أو أوجدتك) ومن هنا جاءت ترجمة آربري بعيدة عن المفهوم الصوفي العميق لنص النفري .

وقد يثار هنا تساؤل : أو ليس الخلق عطاءً ؟

بلى ! إنه عطاء (الإيجاد) .

ولكن عطاء الإيجاد وحده لا يكفي الإنسان ، فهو مادام (موجوداً) في حاجةٍ الى عطاء (الإمداد) .

يقول ابن عربي : «تصدّقَ الحق على العبد بابقاء عينه في الوجود وبايجاده أولًا»[٩١] .

ويقول (ابن عطاء الله الاسكندري) :

«نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكوّن منهما : نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد . أنعم عليك أولًا بالايجاد ، وثانياً بتوالي الإمداد»[٩٢] .

ومن هنا فان عبارة النفري «وقد بدأتك» لا تعني «عطاء الإيجاد» كما يفهم من ترجمة آربري ، لان هذا المفهوم يتعارض مع نص النفري «كيف تطلب مني» ، ذلك لان من حق الإنسان أن يطلب من الله عطاء الإمداد بعد أن تصدق الله عليه بالإيجاد .

ما مفهوم نص النفري ؟

إنه «العطاء بالمنع» كما يعبّر الصوفية .

ومفهوم العطاء بالمنع مأخوذ من معنى قولهُ تعالىٰ : «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» .

وتتردد كذلك في اشارات الصوفية عبارة (المنع بالعطاء) ، ومفهوم المنع بالعطاء مأخوذ من معنى قولهُ تعالىٰ : «وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم» .

ويقول النفري في كتابه (المخاطبات) على لسان الحق سبحانه مشيراً الى مدى جهل الإنسان وسوء تقديره للامور وعدم ادراكه حقيقة المقادير :

«ياعبد ! أعطيتك بالعطاء والمنع ، ومنعتك بالعطاء والمنع ، فذممتني على العطاء بالمنع ، وشكرتني على المنع بالعطاء .....»[٩٣] .

وفي هذا المعنى يقول الشيخ الصوفي (أحمد بن عطاء الله الاسكندري) :

«ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فاعطاك . متى فتح لك باب الفهم في المنع ، عاد المنع هو عين العطاء»[٩٤] .

وقال في موضع آخر من كتابه (الحكم العطائية) :

«انما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه»[٩٤] .

## (٨)

### ـ التبادلية ـ

نص النفري (٩٥)

«إن سترتَ ما بيني وبينك ، سترتُ ما بينك وبيني» .

ترجمة آربري [٩٦]

«If I Cover what is between Me and thee, I Cover what is between thee and Me»

استدراك وتعليق

نلاحظ أن ترجمة آربري تبتعد كل البعد عن المعنى الذي أراده النفري وقصد اليه ، والأمر يحتاج الى شيء من الشرح .

لقد قرأ الاستاذ آربري نص النفري على النحو التالي : «إن سترت (أنا) ما بيني وبينك ، سترت (أنا) ما بينك وبيني» .

والذي نراه أن هذا النص إنما يُقرأ على الوجه التالي :

«إن سترتَ (أنت) ما بيني وبينك ، سترتُ (أنا) ما بينك وبيني» .

فمن الواضح أن النفري إنما يؤكد هنا ما أوضحه في الفقرة السابقة من هذه المخاطبة نفسها حيث قال :

«لا تخرجْ بسري فاخرجْ بسرك»[٩٧]

إن نص النفري يدور حول فكرة (التبادلية) وهي على وجه العموم ، تتردد كثيراً في اشارات الصوفية ، وهم يستندون فيها على ما جاء في الكتاب والسنة .

قال تعالى في كتابه العزيز :

«إن تنصروا الله ينصركم»[٩٧] ـ «رضي الله عنهم ورضوا عنه»[٩٨] ـ «نسوا الله فنسيهم»[٩٩] ـ «فاذكروني اذكركم»[١٠٠] ـ «وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم»[١٠١] ـ «وإن عدتم عدنا»[١٠٢] .

وفي الحديث النبوي الشريف : «احفظ الله يحفظك»[١٠٣] ـ و«عن النبي (ص) فيما يرويه عن ربه عَزَّ وَجلّ قال :

ـ (اذا تقرّب العبد اليّ شبراً تقربت اليه ذراعاً ، واذا تقرب اليّ ذراعاً تقربت منه باعاً ، واذا أتاني يمشي أتيته هرولة) ـ رواه البخاري)[١٠٤]

ما معنى نص النفري : «إن سترت (انت) ما بيني وبينك سترتُ (أنا) ما بينك وبيني» ؟

أنا ستر الله تعالى للعبد فهذا أمر واضح ومفهوم ، ولكن كيف يتيسّر للعبد أن يستر ما بين الله تعالى وبينه ؟!

قد يفسر البعض هذا الستر ـ واهمين ـ على أنه ستر لاسرار عباد الله وصيانة ما خفي على الناس من خاص شؤونهم . والصوفية أحرص الناس على هذا الستر ويتواصون به .

ولكن الذي نراه أن النفري لم يقصد بالستر هنا الى ستر اسرار الناس ، وانما أراد به معنى بالغ الغور يدور في صميم الفكر الصوفي العميق . ذلك هو كتمان (السر) الذي سمّاه بعضهم (سر الخصوصية) ، ودعاه بعضهم (سر الربوبية) ، وسمّاه آخرون (سر الوحدانية) والذي قال فيه السهر وردي (المقتول) :

«بالسر إن باحوا تباح دماؤهم» .

وقال فيه ابن عربي في «رسالة الشيخ الى الإمام الرازي» : «وافشاء سر الربوبية كفر» .

وقال عنه بعض العارفين «مَنْ ـ أفشى سر الوحدانية فقتله أفضل من إحياء عشرة»[١٠٥] .

وجاء في (الحِكَم العطائية) لاحمد بن عطاء الله الاسكندري : «سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية»[١٠٦] .

إن كتمان (السر) من الاصول الثابتة للصوفية ، وهم يحرصون كل الحرص على مراعاة هذا الكتمان والالتزام به .

قال ابن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) :

«والعلماء [بالله] ورثة الانبياء ، أحوالهم الكتمان ، لو قطعوا اربا اربا ما عرف ما عندهم .... فالكتمان من أصولهم الّا أن يؤمروا [من الله] بالإفشاء والإعلان»[١٠٧] .

وقال بعض العارفين :

«... قوام الإيمان واستقامة الشرع بكتم السرّ بِهِ ؛ وبهذا وقع التدبير وعليه إنتظم النهي والأمر»[١٠٨] .

وقال (سهل بن عبدالله التستري) :

«العلوم ثلاثة : علم ظاهر نبذله لاهل الظاهر ، وعلم باطن لا يسع إظهاره الّا لاهله ، وعلمٌ هو (سرّ) بين العالِم وبين الله تعالى : هو حقيقة ايمانه ، لا يظهره لاهل الظاهر ولا لاهل الباطن»[١٠٩] .

ومما يذهب هذا المذهب في تبادل الستر هذه الشطحة الغريبة من شطحات أبي يزيد البسطامي ؛ وستبدو لنا منكَرة اللفظ ، بغيضة نابية ، ولكن إذا تأملناها باممانٍ وجدنا معناها يدور حول الرحمة الإلهية التي وسعت كل شيء . يقول محيي الدين بن عربي في كتابه (الفتوحات المكية) :

(ـ «ولما عمّت رحمة الله أبا يزيد البسطامي ولم يرَ للكون فيها أثراً يزيل عنها حكم العموم ، قال للحق : «لو علم الناس منك ما أعلم ما عبدوك» . وقال له الحق تعالى : [بلسان رحمته التي وسعت كل شيء] «يا أبا يزيد ! لو علم الناس منك ما أعلم لرجموك !» ـ )[١١٠]

## (٩)

## الوقوف بين يدَي

نص النفري [١١٠]

« ... إذا قلتُ لك : قِفْ ، فوقفت لا لخطابي ، عرفتَ الوقوف بين يدَي . وإذا عرفتَ الوقوفَ بين يدي حزمتُك على سواي ، وإذا حرمتُك على سواي . كنتَ من أهل صيانتي» .

ترجمة آربري [١١١]

«when I say to thee, «Stay,» and thou stayest not for my address, then thou knowest the staying that is before Me ; and when thou knowest the staying that is before Me, then do I make unlawful for thee other than Me, and when I make unlawful for thee other than Me, then thou art of the people of my protection».

استدراك وتعليق

ابتعدت ترجمة آربري ـ كما سنرى ـ عن المعنى الصوفي العميق في نص النفري . ولنا على هذه الترجمة ملاحظتان .

## الملاحظة الاولى

١ ـ ان عبارة النفري «فوقفت لا لخطابي» جاءت في ترجمة آربري مختلة المعنى على النحو التالي : «فلم تَقِفْ لخطابي»

«and thou stayest not for my address»

ان ترجمة آربري هذه (تنفي الوقوف) تماماً ، خلافاً لما يبدو بوضوح من عبارة النفري . فالعبارة تشير الى (تحقق الوقوف) ضواعيةً من العبد ، لا امتثالاً لامرٍ مفروض عليه .

٢ ـ ويلاحظ أن عبارة Thou Stayest not تعني «أنت لم تقف» حسب الاسلوب اللغوي الذي استعمله الاستاذ آربري .

ويا حبذا لو جاءت ترجمة هذه العبارة على الوجه الآتي :

«and thou stayest, but not for my address»

٣ ـ ويتكرر هذا المعنى عند النفري ـ قال في (كتاب المواقف) على لسان الحق سبحانه :

«أريد أن أرفع الحجاب بيني وبينك ، فَقِفْ بين يدي لاني ربك ، ولا تَقِفْ بين يدي لانك عبدي»[١١٢] .

## الملاحظة الثانية

١ ـ وردت عبارة (بين يدي) في نص النفري مرتين ، ويترجمها آربري في المرتين على النحو التالي ( — Before Me — أمامي) وصحيح أن (أمامي) تؤدي معنى (بين يدي) من وجهة النظر اللغوية ، الا أنها ليست كذلك من وجهة النظر الصوفية ، ومن هنا جاءت هذه الترجمة مختلة الاداء ، مختلة المعنى . ذلك أن (اليدين) عند الصوفية رمز لكل متقابلين ، وان إغفال لفظ (اليدين) في الترجمة قد أسقط هذا الرمز الصوفي فاخل بمعنى النص .

٢ ـ يقول ابن عربي في (كتاب التراجم) :

«الكون مخطور على الزوجين ، فان الأصل قبضتان ، ومن هناك ظهر»[١١٣] .

ويقول في كتابه (الفتوحات المكية) «القبضتان» : وهما العالمان : عالم السعادة وعالم الشقاوة» و(اليدان) عند ابن عربي رمز كذلك لصورتين :

صورة العالَم وصورة الحق .

يقول في كتابه (فصوص الحكم) :

«... فما جَمَعَ اللهُ لآدم بين يديه الّا تشريفاً ، ولهذا قال لابليس (مامَنَعك أن تسجد لما خَلقتُ بيدي ؟) وما هو الا عين جمعة بين الصورتين :

صورة العالَم وصورة الحق ، وهما يدا الحق ....»[١١٤] .

٣ ـ وتقول الدكتورة سعاد الحكيم في كتابها النفيس «المعجم الصوفي» ـ «لفظة (كن) اشارة الى اليدين التي يرى ابن عربي أنهما تعبّران عن صفتي الفاعلية والمفعولية ، أو حضرتي الوجوب والإمكان»[١١٥] .

٤ ـ ونقرأ في كتاب (التعريفات) للجرجاني :

«اليدان : هما أسماء الله تعالى المتقابلة ، كالفاعلية والقابلية ، ولهذا ذَمَّ ابليس بقوله تعالى :

(ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي) . ولما كانت الحضرة الاسمائية مجمع الحضرتين : الوجوب والإمكان ، قال بعضهم : ان اليدين هما حضرة الوجوب والامكان . والحق أن التقابل أعم من ذلك»[١١٦] .

٥ ـ وتستوقفنا في كتابي (المواقف والمخاطبات) عبارات النفري : (بين يدي) و(في يدي) و(على يدي) . ولكل عبارة منها عنده مفهوم صوفي ، دقيق الدلالة ، بعيد المغزى .

قال في كتابه (المخاطبات) : «يا عبد ! قلبُك (في يدي) قُربٌ ، قلبُك (بين يدي) بُعدٌ»[١١٨] .

وقال : «إن لي قلوباً غرت عليها من الوقوف (بين يدي) لكيلا ترى الواقفين (بين يدي) فتحتجب عن النظر اليّ برؤية الواقفين لي فجعلتها (في يدي) فهي مقيمة عندي ...»

وقال : «القلب (في يد الرب) ، ولسان القلب يتكلم في المقام (بين يدي الرب) .»[١١٩]

ويقول في كتابه (المواقف) : « .. قَلْبُ الواقف (على يدي) وقلبُ العارف على يد المعرفة»[١٢٠] .

## الهوامش

٥٨ـ النفري ـ كتاب المخاطبات ـ ص ٣٠٦ .
٥٩ـ النفري ـ المخاطبات ـ ترجمة اربري بالانكليزية ص ١٧٥ الفقرة (١١)
٦٠ـ سورة الشورى/ ١١ .
٦١ـ ابن عربي (رسائل ابن العربي ـ كتاب نقش الفصوص ص ٧) وتصوير دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ دون تاريخ
٦٢ـ ابن العربي ـ (رسائل ابن العربي ـ كتاب التجليات ص ٣٢)
٦٣ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ٩٣
٦٤ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة اربري بالانكليزية ـ ص ٩٥ ـ الفقرة (٤٩)
٦٥ـ ابن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج ٢ص ١٨٧
٦٦ـ د. سعاد الحكيم ـ المعجم الصوفي ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٩٨١ ـ ص٥٥٤
٦٧ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ص ١١٧
٦٨ـ النفري ـ كتاب المواقف ـ ترجمة اربري بالانكليزية ـ ص ١١٣ ـ الفقرة (٣٧)
٦٩ـ ابن عربي ـ كتاب إنشاء الدوائر ـ طبع بريل سنة ١٣٣٦هـ ص ٣٢
٧٠ـ ابن عربي ـ (رسائل ابن العربي ـ كتاب الاسرا ص ٧١) . تصوير دار احساء التراث العربي ـ بيروت ـ دون تاريخ .
٧١ـ ابن عربي ـ الفتوحات المكية ـ ج ٣ ص ٥٤٤

٧٢- النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٣
٧٣- النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة اربري بالانكليزية ص ١٥٨ الفقرة (١) من المخاطبات (٢٨)
٧٤- راجع تعليق اربري على هذا النص بالانكليزية ص ٢٥٠
٧٥- النفري - كتاب المواقف ص ٢٥٠
٧٦- النفري - كتاب المواقف - ترجمة اربري بالانكليزية ص ١٢٥ - الفقرة (١٢)
٧٧- سورة البقرة/ ١١٥
٧٨- سورة الروم/ ٣٨
٧٩ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢١٠
٨٠ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آربري بالانكليزية - ص ١٧٧ - الفقرة (٤).
٨١ - ابن عربي - (رسائل ابن العربي - كتاب الجلال والجمال ص ٤) - تصوير دار احياء التراث العربي - بيروت - دون تاريخ.
٨٢ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢٠٦
٨٣ - سورة ق / ٢٢
٨٤ - ابن عربي -(رسائل ابن العربي - كتاب الشاهد ص ١٣)-تصوير دار احياء التراث العربي - بيروت - دون تاريخ
٨٥ - النفري - كتاب المواقف - ص ٧٩.
٨٦ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨١
٨٧ - المصدر السابق - ص ١٨٣
٨٨ - المصدر السابق - ص ١٩١
٨٩ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٨٨
٩٠ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آربري بالانكليزية - ص ١٦١ - الفقرة (٤).
٩١ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ٢ ص ١٧٩
٩٢ - احمد بن عطاء الله الاسكندري - الحكم العطائية - ص ٢٢
٩٣ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ١٩٨
٩٤ - انظر (الحكم العطائية) - ص ٢٠
٩٥ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢٠٥
٩٦ - النفري - كتاب المخاطبات - ترجمة آربري بالانكليزية - ص ١٧٤ - الفقرة (٣).
٩٧ - سورة محمد / ٧
٩٨ - سورة التوبة / ١٠٠ ، سورة المجادلة / ٢٢ ، سورة البيّنة /٨
٩٩ - سورة التوبة / ٦٧
١٠٠ - سورة البقرة / ١٥٢
١٠١ - سورة البقرة / ٤٠
١٠٢ - سورة الإسراء / ٨
١٠٣ -
١٠٤ - النووي - رياض الصالحين - ص ٢٦
١٠٥ - ابن عربي - (رسائل ابن العربي - رسالة الشيخ الى الامام الرازي - ص ١٠) - تصوير دار احياء التراث العربي - بيروت - دون تاريخ.
١٠٦ - انظر (الحكم العطائية) - ص ٢٤
١٠٧ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ١ ص ٢٠٦
١٠٨ - ابن عربي - (رسائل ابن العربي - رسالة الشيخ الى الامام الرازي - ص ١١).
١٠٩ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ٤ ص ٤٨
١١٠ - النفري - كتاب المواقف - ص ١١٣
١١١ - النفري - كتاب المواقف - ترجمة آربري بالانكليزية - ص ١٠٩ - الفقرة (٢).
١١٢ - النفري - كتاب المواقف - ص ٢٥
١١٣ - ابن عربي - (رسائل ابن العربي - كتاب التراجم - ص ٣١).
١١٤ - ابن عربي - الفتوحات المكية - ج ٣ ص ٧٥
١١٥ - ابن عربي - فصوص الحكم - تحقيق وتعليق د. ابو العلا عفيفي - دار الكتاب العربي. بيروت - دون تاريخ - ج ١ ص ٥٥
١١٦ - د. سماد الحكيم - المعجم الصوفي - ص ٩٨٩ - ٩٩٠
١١٧ - الجرجاني - التعريفات - القاهرة ١٩٣٨ - ص ٢٣٠
١١٨ - النفري - كتاب المخاطبات - ص ٢٠٧
١١٩ - المصدر السابق - ص ١٧٧
١٢٠ - النفري - كتاب المواقف - ص ١٦

* * *